

الأنس با



ا. . جلّ جلاله أنس المؤمن، وسلوة الطائع، وحبیب العابد، والأنس به ثمرة المعرفة، ونتيجة المحبة، ودليل الولاية، وبرهان العناية، ومؤهل الرعاية. إذا امتلأ القلب بجلاله تحلو الحياة، وتعذب الدنيا، وتستنير البصيرة وتنكشف الهموم، وتهاجر الغموم، ومن أنس با أنس بالحياة، وسعد بالوجود، وتلذذ بالأيام، قلبه مطمئن، وفؤاده مستنير، وصدره منشرح، نُقِشت محبة ا في قلبه، وسكنت صفات ا في ضميره، ومثلت أسماء ا أمام عينيه، فهو يحفظ أسماءه، ويتأمل صفاته، ويستحضر في قلبه الرحمن، الرحيم، الجميل، الحليم، البر، اللطيف، المحسن الودود الكريم، العظيم. . إلى غير ذلك من صفات الجلال وأسماء الكمال، فتثير أنساً بالباري، وحباً للعظيم، وقرباً من العليم. إنَّ الشعور بقرب ا من عبده يوجب الأنس به، والسرور بعنايته، والفرح برعايته، (وَإِذْ أَسْأَلُكَ عَبْدِي عِنْدِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَا نِ) (البقرة/ 186). إنَّ الأنس با لا يأتي بلا سبب، ولا يحصل بلا تعب، بل هو ثمرة للطاعة، ونتيجة للمحبة، فمن أطاع ا وامتثل أمره واجتنب نهيه وصدق في محبته، وجد للأنس طعماً وللقرب لذة، وللمناجاة سعادة. إذا كان حب الهائمين من الوری **** بليلى وسلمى يسلبا اللب والعقلا فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي **** سرى قلبه شوقاً إلى المأ الأعلى الأنس با أن تسعد بشريعته، وتشكر لنعمه، وتتفكر في ملكوته وتطرب لذكره، وتتلذذ بسماع كلامه، وترضى به رباً، وبكتابه نهجاً، وبنبيه رسولاً. إنَّ كثرة الذنوب تحجب الأنس بعلام الغيوب، وتمنع السعادة بعناية

عالم الغيب والشهادة، المستأنس بأجنته في صدره، وبساته في قلبه، ونزهته في رضاء ربه، وسياحته في مغاني الكمال، ومراتع الوصال، ومناظر الجلال، ومواطن الجمال. يا منتهى وحشتي وأنسي **** كل لي إن لم أكن لنفسي أوهمني في غد نجاتي **** حلمك عن سيئات أمسي المؤمن يأنس بأبي في وحشته، ويسلو به في خلوته، ويسعد به في غربته، لا شيء أمتع لدى المحبين من الخلوة بمحبتهم والحديث إليه، ومناجاته في أوقات التجلي إذا هدأت العيون، وسكنت النفوس، واستنقلت المضاجع بالنائمين، قام المحبون ليعيشوا لحظات الأنس، ودقائق السعادة في ثلث الليل الآخر. ولقد ورد الوعيد الشديد من المرور بين يدي المصلي، وما أظن ذلك إلا لأنّه يقطع أحلى ساعات الأنس، ويشوش على ألد دقائق المناجاة، ولذلك جعلت قرّة عين النبي (ص) في الصلاة. إذا تصدع شمل الود بينهم *** فللمحبين شمل غير منصدع وإن تقطع جبل الوصل يومئذ **** فللمحبين جبل غير منقطع إنَّ المحبَّ جلَّ وعلا يأنس به ويأنس بطاعته ويأنس بذكره، ويستوحش إذا شغل عنه. سئل أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: ما أقرب ما يُتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، فبكى، ثمَّ قال: مثلي يسأل عن هذا؟ أقرب ما يُتقرب به إليه أن يطَّلَع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره جلَّ وعلا: قال بعض العلماء: العارف بالله أنس بالله فاستوحش من غيره، وافتقر إلى الله فأغناه من خلقه، وذلك فاعزه في خلقه. إذا كان للناس أنس بما **** ينالونه من متاع الحياة فإن سروري وأنسي بمن **** هداني وسيرني في رضاه أصلي فؤادي بآلئه **** ولا أنحني لعظيمٍ سواه يقول تعالى: (فَاِذْ ذَا فَارَغْتِ فَانْصَبِي * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبِي) (الشرح / 7-8). إذا فرغت من القيام بواجب الدعوة والتعليم والنصح والتوجيه، إذا فرغت من الناس ومطالبهم، إذا فرغت من القيام بأعباء الحياة ومتطلبات المعيشة والتي هي كلها من العبادة، فيجب أن تجعل جزءاً من الوقت خالصاً لا يشركه فيه أحد، ولا حتى هموم الدعوة أو الإسلام، لتأنس فيها بربك، وتتلذذ بمناجاته، وتسد بالانطراح بين يديه، فيعمر ذلك الأنس قلبك، ويزيل همك، وينسيك أتعاب الحياة وأوصاب الدنيا. ولأنَّ تلك الخلوة بالحبيب هي الزاد للطريق، وهي الوقود للعمل، وهي التي تبرد حرارة الشوق إلى من بذلت وقتك من أجله، إلى من شرح صدرك، ووضع عنك وزرك، ورفع لك ذكرك. إن حركة المؤمنين وعنوان مسيرتهم: (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) (التوبة / 59)، والرغبة في الله وإرادة وجهه والشوق إلى لقائه والأنس بعبادته والسرور بطاعته، هي رأس مال العبد، وملاك أمره، وقوام حياته، وأصل سعادته، وعنوان فلاحه. وقف الهوى بين حيث أنت فليس لي **** متأخراً عنه ولا متقدماً أجده الملامة في هواك لذيدة **** حياً لذكرك فليلمني اللغو ولم يقول ابن القيم - رحمه الله - حدثني تقي الدين بن شقير قال: خرج شيخ الإسلام ابن تيمية يوماً فخرجت خلفه، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس سمعته يقول: وأخرج من بين البيوت لعلي **** أحدث عنك النفس

بالسر خاليا المصدر: كتاب ا. . أهلُ الثَّـنَاءِ والمَجْدِ